

أحاديث رمضان ١٤٢٥ هـ - ومضات ولقطات إيمانية - الدرس (١٧-٦٤) : بناء الكيان الإسلامي
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٤-١٠-٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

أسلوب القرآن في التعليم :

أيها الإخوة ؛ قد يتسأل بعض الإخوة الكرام عن سبب ورود قصة بني إسرائيل بشكل مكثف في القرآن الكريم ، الحقيقة أن الأمراض التي وقع فيها بنو إسرائيل المسلمون مهينون أن يقعوا فيها ، والأصح وقد وقعوا بها ، هذا أسلوب غير مباشر ، أبلغ في التعبير ، اخترت آية في هذه الليلة ، يقول الله عز وجل :

(فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى)

[سورة الأعراف الآية : ١٦٩]

المعنى الدقيق :

أن معنى هذا الدين الدقيق تكاليف
منوعة ، بعض التكاليف لا تكلف شيئاً ،
في عصور تأخرهم اكتفوا بالحد الأدنى ،
يصلون ، يحجون ، يعتمرون ، لكن بناء
الأمة ، الطرف الآخر بنى أمته بناء قوياً
جداً ، فأملى إرادته على كل الشعوب ،
نحن ماذا ينبغي أن نفعل؟ المشكلة أننا
حينما نكون ضعافاً الطرف الآخر يملئ
علينا كل شيء ، يمنعنا أن نقرأ قرآننا ،



يمنعنا أن نعلم أولادنا أمور الدين ، يمنعنا أن نحافظ على استقامتنا ، يملئ علينا ثقافته وشركه ،
واباحته ، لذلك لا يكفي أن نأخذ الحد الأدنى ، لا بد من أن نأخذ الحد الأعلى، كيف يؤخذ الحد
الأعلى ؟ .

أيها الإخوة ؛ ورد بالحديث الشريف عن عوف بن مالك رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

((إن الله يُلومُ على العَجْزِ))

[أخرجه أبو داود]

يلوم ... هذا الحديث دقيق جداً ، الإنسان يقول : انتهينا ، يستسلم ، الإنسان بشعوره أنه ضعيف ، ولم ينتصر ، ولن تقوم له قائمة ، هذا الشعور أقرب إلى اليأس منه إلى التفاؤل ، أنا أقول لكم كلمة ، وكل مسلم معني بها :

كيف تكون قوياً ؟

كيف تطور عملك ؟

كيف تقوي إنتاجك ؟

كيف تحل مشكلاتك ؟

ما لم ننتقل إلى الحد الأعلى ، الحد الأدنى صلينا ، وقلنا الأمر كله بيد الله عز وجل ، طيب ، الصحابة الكرام صلوا ، لكن بنوا أمة ، فتحوا البلاد ، راياتهم رفرفت في أطراف الأرض ، إذا نحن حينما نأخذ بالأسباب نكون مؤمنين حقاً .

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ

شَيْءٍ سَبَبًا * فَاتَّبَعِ سَبَبًا)

[سورة الكهف الآية : ٨٣ - ٨٥]

هذا الكلام موجه لكل مؤمن ...

ينبغي أن تفكر في حل مشكلاتك .

ينبغي أن تفكر في مستوى رفع دخلك .

ينبغي أن تفكر في إتقان عملك .

ينبغي أن تعمق اختصاصك .

ينبغي أن تكون لبنة في بناء الأمة .

حتى نستطيع أن نستقل ، لا أن نكون

تبعاً للأقوياء .

لذلك أن نأخذ عرض هذا الأدنى ، أن

نكتفي بالأشياء التي لا تقدم ولا تؤخر ،

طبعاً الصلاة تقدم وتؤخر ، ولكن إذا كنت مؤمناً حقاً ، وتتبع كلام الله ، فانه يأمرك فيقول :

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ)

[سورة الأنفال الآية : ٦٠]

إخوة أكثر عمقوا اختصاصهم ، فحلوا

مشكلات كثيرة في بلدهم ، واستغنينا

بخبرتهم عن أن نستورد خبرات

الآخرين ، أذكر هذا الكلام ، لأن الأمر



نصبح أقوى عندما نستغني عن الاستيراد ونطور صناعتنا

الآن معركة المسلمين مع الطرف الآخر معركة نكون أو لا نكون ، بوادرها واضحة تماماً ، لو تتبعتم ما يجري في العالم ، سوف يفرضون علينا ثقافتهم ، وانحرافهم ، وإباحيتهم ، وسوف يمنعونا من ممارسة عبادتنا ، ومن تعليم أولادنا ، ومن تحجيب نساءنا ، وبوادر الأمر واضحة جداً ، فذلك هذا الدين الكل متكامل ، لا يمكن أن نكتفي منه فقط للعبادة الشعائرية ، لا بد من أن تترافق العبادة الشعائرية ببناء لهذا الكيان الإسلامي ، البناء الآن لا يكون إلا بالعلم .

فكل طالب يدرس دراسة جامعية ويتفوق هذا ساهم ببناء أمته ، وكل إنسان عنده صناعة متواضعة لو طورها ، وقدم إنتاجاً جيداً ، واستغنيا عن أن نستورد ، وقدم إنتاجاً حل به مشكلته في بلده فهذا إنسان ساهم ببناء الأمة ، وكل إنسان صناعي ، أو زراعي ، أو تجاري ، أو خدمي ، أو اختصاصي ، أحياناً يأتي طبيب من بلاد الغرب ، ويقوم في بلده ، كأن بلاد الغرب جاءت إلينا دون أن نشعر ، قد يجري عمليات كثيرة جداً بأعلى درجة .

الحد الأدنى والحد الأعلى :

درس اليوم متعلق بـ : ألا نأخذ من الدين الحد الأدنى ، ينبغي أن نأخذ الحد الأعلى ، أن نسهم في بناء أمة ، يعني مثلاً :

حينما صدر قانون الاستثمار ، الشيء الغريب أن كل الذين استفادوا من هذا القانون أنشؤوا منشآت سياحية فقط ، وسيارات ، هذه المشاريع كلها لا تقوي بلدنا ، ولا نستطيع بها أن نواجه الأعداء ، ليس عندنا شيء استراتيجي ، فأنا أقول : لا نكتفي بالحد الأدنى ، إن أدركنا لهذه الأمة أن تبقى ، الأخطار والله أيها الإخوة محيطة بنا من كل صوب ، والأخطار أخطار إبادة وتدمير ، كما ترون ، ألا ترون ما يجري في بلاد المسلمين في العراق ، وفي فلسطين ؟ قضية إبادة ، وليست قضية إحلال شيء مكان شيء ، ولا قضية نشر شيء ، فهذا الذي أتمناه أن كل إنسان يسهم في تقوية أمته ، باختصاصه ، بخبرته ، بوظيفته ، بدراسته ، بطبه ، بهندسته ، بتجارته ، بصناعته ، ببيعه ، بشرائه .

أذكر لكم أن شاباً متفوقاً في اختصاصه أصلح جهاز ، يُصلح كل عام بالملايين ، يصيبه عطل كل عام ، بقدره قادر ، صُمم هذا الجهاز ليُصلح كل عام ، وتبتز أموالنا بأرقام فلكية ، شاب من هذه البلدة استطاع أن يحل هذه المشكلة بربع ساعة ، ذكر لي هذا إنسان يعمل في حقل دقيق جداً ، قلت : لو عندنا شباب بهذا المستوى لاكتفينا عن أن نستجدي خبرات الآخرين ، الطالب عندما يدرس دراسة جامعية ، يعمق اختصاصه ، يتفوق ، يسخر اختصاصه لأمته يكون الأمر غير هذا الحال .

لفتت نظري هذه الآية :

(فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى)

[سورة الأعراف الآية : ١٦٩]



كل شيء يكلف ، ولا يحتاج إلى جهد ،
 ولا إلى سهر ، ولا إلى بحث ، ولا إلى
 درس نفعه ، ونحن مرتاحون ، اكتفينا
 بالحد الأدنى ، الحد الأدنى عبادات
 شعائرية ، أما الحد الأعلى فبناء الكيان
 الإسلامي ، هذا يبني بالعلم ،
 بالاختصاصات ، يبني بالإخلاص ،
 يبني بالتعاون ، يبني بإنكار الذات ،
 يبني بالتطوير ، يبني بكل وسيلة نقوى
 بها .

أنا ذكرت اليوم أن ثقافة أيّ أمة ملك البشرية جمعاء ، لأنها بمثابة العسل الذي استخلص من
 زهرات مختلف الشعوب على مر الأجيال ، وهل يعقل إذا بلغتنا جماعة من النحل أن نقاطع العسل
 الذي أخذ من زهراتنا ؟ ينبغي أن نطور أنفسنا ، أن نطور صناعتنا أن نطور إنتاجنا ، أن نستخرج
 ثرواتنا ، هذا إذا أردنا أن نتخذ قراراً ، وينفذ هذا القرار ، أما إذا كنا ضعافاً فإرادات الآخرين تملئ
 علينا ، قد يقول أحدهم : هذا الكلام ليس واقعياً ، أنا ماذا أفعل ؟ الشباب أكثرهم أمامي ، أنت شاب
 تدرس ، لمجرد أنك تفوقت في اختصاصك فقد ساهمت في بناء الأمة ، لمجرد أنك أتقنت صناعتك ،
 الآن بعد حين سوف ندخل في السوق المشتركة سوف تأتي البضائع المتقنة الرخيصة ، ما لم
 نسارع إلى إتقان صناعتنا ، وإلى تخفيض نفقاتنا فلن نستطيع أن نصمد ساعة أمام البضاعة التي
 سوف تأتي بأعلى درجة من الإتقان ، وبأعلى درجة من السعر المحدود .

فالقضية الآن نواجهه والله مشكلة كبيرة ، أنا أريد أن أقرع أجراس الخطر ، وأن ننتبه لأنفسنا ، وكل
 واحد بإمكانه أن يفعل شيئاً يقوي كيانه الإسلامي ، ولا أن تكتفي بالعرض الأدنى .

آخر شيء ، العالم ينقسم إلى قسمين :

قسم أخذ بالأسباب بشكل مذهل كالغربيين ، لكنهم اعتمدوا عليها ، ونسوا الله فوقعوا في الشرك ،
 ولهم عند الله تأديب كبير جداً .

القسم الثاني ونحن منهم ، لم نأخذ بالأسباب تكاسلاً ، ولسوء فهم لدينا توكلنا ، ولم نتوكل ، فوقعنا
 في المعصية .

نحن لم نأخذ بها فأصبحنا ضعافاً ، هم أخذوا بها ، وأشركوا ، لكن الموقف الكامل أن نأخذ
 بالأسباب ، وكأنها كل شيء ، ثم نتوكل على الله ، وكأنها ليست بشيء .

إذاً ، ينبغي ألا نكتفي بالحد الأدنى ، ضمن نشاط الدين في حدود دنيا سهلة جداً ، يركب طائرة ،
 يذهب إلى العمرة ، يتمتع في فندق عدة أيام ، يطوف ويسعى ، ويرجع معتمراً فندق شيء جميل ،

وهي واجب ، والإنسان قد يتأثر تأثراً كبيراً جداً ، لكن هل نكتفي بالحج والعمرة فقط ، ونهمل أعمالنا ؟ نهمل أولادنا ؟ نهمل تربية أولادنا ؟ نهمل إتقان صنعتنا ؟ هناك خلل كبير في حياتنا أيها الإخوة ظهر بهذه الأزمان ، وهذا الخلل لا يحل إلا إذا كان الوعي الذي ينبغي أن يكون عندنا في أعلى مستوى .

و الحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا آثرنا ولا تؤثر علينا أرضنا وارضى عنا ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

والحمد لله رب العالمين